



## المسرح الغنائي في تونس

### أزمة شكل فني في سياق مجتمع متحوّل

د. فراس الطرابلسي<sup>١</sup> (تونس)

#### تمهيد

يفترضُ عنوان البحث منذ الوهلة الأولى حضور المسرح الغنائي في تونس كشكل فني في حالة أزمة أو عدم انسجام مع تغييرات المجتمع وسلوكه وإدراكه لأشكال التعبير الموسيقي عموماً في الزمن الحالي. تتفسّر هذه الوضعية الثقافية بعدة أسباب، سنأتي عليها تباعاً في هذا البحث.

ولعلّ أكبر دليل على ذلك أنّ الكتابات حول موضوع المسرح الغنائي في تونس من قبل النخبة الموسيقية من الباحثين قليلة جداً، ولا يجد المتصفح والباحث مقالات أو كتباً مختصةً بدقة حول تفاصيل تاريخ هذه الممارسة الموسيقية-الغنائية أو حول أكثر المنتجين والملحنين أو حتى أكثر الأعمال شهرة فيها، بل يجدر على الباحث الموسيقي أن يطلع على من أرخوا للمسرح في العموم أو كتب أعلام الثقافة في تونس حتّى يلتقط منها بعض الأخبار ذات العلاقة بالمسرح الغنائي.

والحقّ أنّ قلّة الكتابات في أيّ مجال من مجالات المعرفة أو الثقافة يدلّ بصفة غير مباشرة إمّا:

- على عدم أهميّة التجربة في السياق التاريخي والفكري والثقافي والاجتماعي العام.

- على قصور في إدراك عمق تلك التجربة رغم أهميّتها في نفس ذلك السياق.

وبما أنّ الأمر بهذا التناقض الصريح، فمن الموضوعية دراسة الموضوع من كلّ جوانبه حتّى نفهم سبب قلّة الكتابات حول المسرح الغنائي في تونس. بناءً على ذلك، قرّرنا في هذه المداخلة تشريح المشهد الموسيقي التونسي منذ بدايات القرن العشرين والنظر في مكانة المسرح الغنائي فيه مقارنة بالفضاءات الجغرافية الأخرى (في المشرق خاصّة) التي كانت تعيش ظروفًا سياسية واقتصادية مشابهة (الاستعمار والاضطرابات الاجتماعية).

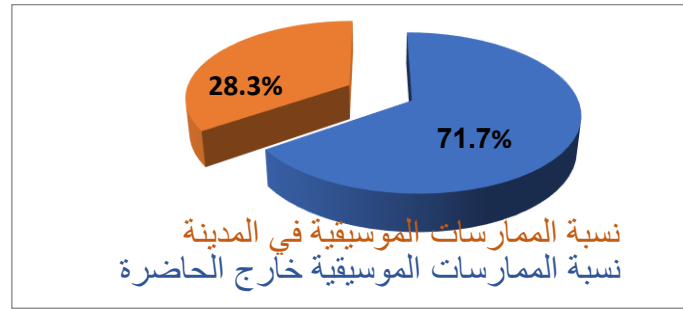
وهو ما جعلنا نميل إلى اعتماد مدخل استقصائي-نقدي للتجربة التونسية في مجال المسرح الغنائي، يتشكّل من خلال أسلوب تقرير في العنوان<sup>٢</sup> يفترض بكلّ وضوح (انطلاقاً من واقع قلّة الكتابة في الموضوع) حقيقة وجود أزمة في الشكل الفني المسمّى بالمسرح الغنائي في تونس، وينظر كذلك في قيمتها الفنية وفي تراكمها التاريخي وتأثيرها وحضورها في الرصيد الغنائي بالبلاد التونسية.

<sup>١</sup> دكتور/ أستاذ مساعد بالمعهد العالي للموسيقى بصفاقس-الجمهورية التونسية. دكتوراً في الموسيقى والعلوم الموسيقية-جامعة تونس (٢٠١٧). عضو المعهد العالمي للتجديد العربي-مريد (٢٠٢٢). - محكّم بمجلة هيروودوت التاريخية الجزائرية (٢٠٢٢). محكّم بعدد من المؤتمرات والكتب الدولية حول الموسيقى والسينما والإيقاع (المركز العربي الديمقراطي برلين/Apteas-سترازبورغ) (٢٠٢١-٢٠٢٢). - معّد برنامج دبلوم الموسيقى بمعهد يعقلون العالي للتدريب بالملكة العربية السعودية (٢٠٢٢). - مشاركات مختلفة في مؤتمرات دولية منها في مؤتمر العلوم الاجتماعية والتنمية المستدامة بكلية الآداب جامعة السلطان قابوس-فيفري ٢٠٢٢. مؤتمر المشترك الثقافي بين مصر تونس: الواق والآمال (مارس ٢٠٢٢).

<sup>٢</sup> يتشكّل عنوان بحثنا في تناصّ صريح ومباشر مع عنوان مقال للباحث علي اللواتي صدر في فيفري ٢٠١٨ في مجلة "ليدرز" العربية التونسية بعنوان "في تراجع الأغنية الفكاهية في تونس: أزمة شكل فني في سياق مجتمع متحوّل".



١- **المشهد الموسيقي في تونس منذ اوائل القرن العشرين إلى فترة ما بعد الاستعمار**  
لن يكون هذا العنصر فرصة لاستعراض القوالب الموسيقية والتعريف بها كما ينتظره منا القارئ المختص، بل إن هناك كتابات ومؤلفات قيّمة اهتمت بذلك<sup>٣</sup>، ولكن سنقوم فقط بعرض قصير لنتائج حصر مختلف القوالب الغنائية والموسيقية الصّرفة (بمجهود شخصي) مع التّركيز على الممارسات الموسيقية الأقلّ حظاً في التعريف والتوثيق والإحاطة العلمية (منذ بدأ التّأريخ لها مع المستشرقين ثم مع الجهود الوطنية للأرشفة والتوثيق)، مع محاولة تحديد بعض النسب المائوية وإثارة بعض الإشكاليات. إنّ عمليّة التصنيف التي قمنا بها بالنسبة المائوية لمجمل الممارسات الموسيقية الغنائية والآلاتية بمعيّار ما يُصنّف في الحواضر أو في الأرياف والبوادي (من خلال الجرد الميداني الشخصي وأرشيف مركز الموسيقى العربية والمتوسّطية النجمة الزهراء) يحيل حتماً على ضرورة مراجعة مفهوم "الموسيقى التّونسية" كما يحلو للبعض نعتها والكتابة حولها والتّأريخ لها، وذلك كما يلي:



#### رسم بياني ١. مقارنة نسبة الأنماط الموسيقية التي تمارس في الحاضرة بمثيلتها التي خارج الحاضرة التونسية

الواضح أنّ "المقاربة الكفيلة بتوضيح ماهيّة الموسيقى التّونسيّة هي: المقاربة القادرة على دراسة مختلف مستويات التواصل الرّماني والثقافي والاجتماعي والوجداني بينها وبين محيطها ومرجعياتها العضوية العربية والمغربية والإفريقية والمتوسّطية، حضرية وريفية وساحلية وجبلية وصحراوية وغيرها من البيئات الطبيعية والبشرية والحضرية المؤثرة في بلورة التقاليد المتعلقة بها والضامنة لتواصلها، بكلّ مكوناتها ("المتقن" و"الشعبي" و"الرّسمي" و"الجماهيري"، وغيرها) (٤) وهذا طبعا ينطبق على كلّ قطر من أقطار الوطن العربي، إذ لا يمكن أن نصف الموسيقى ونحددها في مصر أو العراق أو اليمن أو غيرها من الأقطار دون اعتماد هذه المقاربة.

وتشترك جلّ جهات البلاد التّونسية بصفة عامّة في عدد من هذه الممارسات الموسيقية من حيث تصنيفها المحوري (مرتبطة بوصف الطبيعة-اجتماعية-حماسية-حركية-دينية-عاطفية...) ولكنها تختلف في

<sup>٣</sup> يكفي أن نعود مثلاً في شرح وتقديم بعض قوالب الموسيقى في تونس إلى:

- محمّد القرقي (٢٠١٥)، نظرات في الموسيقى والغناء والفرجة

- فتحى زغندة (٢٠١٤)، نقاط توقّف: دراسات ومقاربات في فنّ الموسيقى في تونس.

- محمّد القرقي (٢٠٠٦)، الموسيقى العربية آلاتها وأغانيها

- Manoubi Senoussi (2003), Initiation à la musique Tunisienne-

- المهدي، صالح (١٩٩٣)، الموسيقى العربية: مقامات ودراسات.

- الصادق الرزقي (١٩٦٥)، الأغاني التّونسية

٤ قوجة (محمّد)، "الخطاب الموسيقي في تونس، إشكالية تحديد المفاهيم والمناهج"، تصدير كتاب ملتقى الموسيقى والفنون التّونسية في مجالها العربي الإسلامي والإفريقي والمتوسّطي: البصمة المغاربية، منشورات المعهد العالي للفنون والحرف بقابس، الطبعة الأولى، ٢٠١٤، ص ٦.



أشكال التعبير (موسيقى/تمثيل/ رقص/شعر مغنى/تعبيرات غنائية أخرى..) وأحيانا كثيرة في المصطلحات والنوعيات الخاصة بتفاصيل هذه الممارسات التقنية والجمالية.

وإذا اعتبرنا المسرح الغنائي جزءا من الرصيد الغنائي والموسيقى الحضري، فالسؤال المطروح هنا : ما هي مكانة المسرح الغنائي صلب الرصيد الحضري ذاته الذي يمثل فقط ٢٨,٣% من مجمل الممارسات الموسيقية في تونس بشكل عام من خلال ما كتبه ووثق له المؤرخون؟

#### ١-١ مكانة المسرح الغنائي ضمن التصنيف المعتمد ومن خلال المدونات والمراجع المكتوبة

لفهم مكانة هذا الفن الموسيقي الذي يجمع بين الموسيقى والمسرح، اعتمدنا أولا معيارا موضوعيا علميا وهو البحث في ما كتب حول هذا الموضوع من كتب ومقالات من جهة، ثم البحث في الأرصدة الموسيقية والأعمال الفنية التي تندرج ضمن هذا الفن من خلال ما هو متوفر في أرشيف مركز الموسيقى العربية والمتوسطية الرقمي المخطوط والرقمي الصوتي<sup>١</sup> (كأبرز حاضنة رقمية للأرصدة الموسيقية التونسية). وبعملية بحث بسيطة عثرنا على ما يلي:

#### ◆ المقالات:

- محمد عبد العزيز بن عثمان (١٩٧٨)، المسرح الغنائي بتونس، مجلة الحياة الثقافية، تونس، العدد.
- محمد عبد العزيز بن عثمان (١٩٧٨)، موسيقى المسرح ودورها في تطوير الموسيقى العربية، مجلة الحياة الثقافية، تونس، العدد.



٥ من أبرز من كتب في موضوع التوثيق للممارسات الموسيقية التونسية بشكل عام نذكر:

- الرزقي، الصادق- الكعك عثمان- محمد الحبيب- صالح المهدي- حسن حسني عبد الوهاب- المنوبي السنوسي- علي الحشيشة- فتحي زغندة- محمد القرفي- علي اللواتي- المنصف شرف الدين  
٦ اعتمدنا أساسا على الموقعين التاليين :

<http://phonotheque.cmam.tn>

<https://ennejma.tn/archives/ar/>



ويعتبر هذان المقالان من بين البحوث القليلة جدا التي كان فيها محور الاهتمام بالمسرح الغنائي في تونس صريحا من خلال العنوان.

❖ أما إذا تحدثنا عن الكتب: فلا يوجد حسب علمنا كتاب واحد خصّصه صاحبه لتجربة المسرح الغنائي في تونس، ولكن في المقابل نجد كتبا حول تاريخ المسرح التونسي وبه فقرات او صفحات حول بعض تجارب المسرح الغنائي، أو حول بعض أعلام الغناء والشعر الذين ارتبط جزء من تجربتهم بالمسرح، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

- مجلة الثريا (عدد أبريل ١٩٤٤)، تونس (عدد خاص بعبد الرزاق كركباكة)
- أبو القاسم محمد كرو (١٩٦٥)، عبد الرزاق كركباكة (سلسلة أعلام المغرب العربي)
- عز الدين المدني ومحمد السقانجي (١٩٨٦)، رواد التأليف المسرحي في تونس ١٩٥٠-١٩٥٠.
- المنصف شرف الدين (١٩٩٧)، من رواد المسرح التونسي وأعلامه.
- محمد انور بوسنينة (١٩٩٩)، عبد الرزاق كركباكة حياته-تراثه.
- الهادي العبيدي (٢٠٠٢)، من أعلام الثقافة والسياسة، تحقيق وتجميع البشير الشريف.
- محمد القرية (٢٠١٥)، نظرات في الموسيقى والغناء والفرجة.
- علي اللواتي (٢٠٢١)، خطوط على جدار الذاكرة

❖ صفحات من أرشيف قصر البارون دير لانجي (مركز الموسيقى العربية والمتوسطية):

عند البحث بالكلمة المفتاحية "المسرح الغنائي" في الأرشيف الخاص بالمركز نتحصل على ما يلي:

كتاب حول أمسية بعنوان "أطفال شارع المسرح" يعود تاريخه إلى سنة ١٩٧٧



مؤتمر الموسيقى العربية الحادى والثلاثون من ٢٢-٢٦ أكتوبر ٢٠٢٢

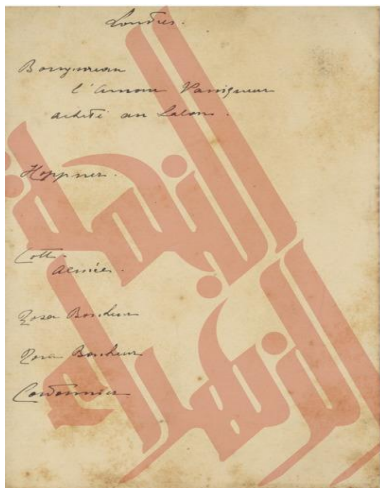
"المسرح الغنائي علامة فارقة في مسيرة الموسيقى العربية"



كتيب حلو أمسية بعنوان "أطفال شارع المسرح" يعود تاريخه إلى سنة 1977.



نماذج من مسودات خاصة ببعض فصول مسرحية (باللغة الفرنسية)



تساجيل صوتية من خزانة مركز الموسيقى العربية والمتوسطية:

عند البحث بالكلمة المفتاحية "المسرح الغنائي" في الخزانة الصوتية للمركز نتحصل على نتيجتين:

- محمد الجموسي

- حبيبة مسيكة



مؤتمر الموسيقى العربية الحادى والثلاثون من ٢٠٢٢-٢٦ أكتوبر ٢٠٢٢  
"المسرح الغنائي علامة فارقة في مسيرة الموسيقى العربية"



ENNEJMA EZZAHRA  
Centre des Musiques Arabes et Méditerranéennes

المسرح الغنائي

Desk Archives Advanced search Terminology

Search Results

Items (2) | Collections (2) | Corpus (0) | Fonds (0)

Filters

|               |            |
|---------------|------------|
| Item Status   | Unknown 2  |
| Player Status | Sound 2    |
| Access Right  | viewable 2 |

Other Filters

|                                     |                                                                   |           |                                                |
|-------------------------------------|-------------------------------------------------------------------|-----------|------------------------------------------------|
| <input type="checkbox"/> select all | title                                                             | Digitized | Depositor /                                    |
| <input type="checkbox"/>            | Mohamed El Jamoussi (1910-1982)   محمد الجموسي (1910-1982)        | 0         | Centre des Musiques Arabes et Méditerranéennes |
| <input type="checkbox"/>            | Hbibba Msika (Habiba Msika) (1893-1930)   حبيبة مسيكة (1893-1930) | 0         |                                                |

Add to playlist

telameta v1.7.1 Usage of the a

عند البحث بالكلمة المفتاحية "المسرح" (باعتباره مصطلحا شاملا) في الخزانة الصوتية للمركز تنضاف إلى النتيجة الأولى كل من الأسماء التالية:

- فتحيّة خيري
- سيد درويش

ENNEJMA EZZAHRA  
Centre des Musiques Arabes et Méditerranéennes

المسرح

Desk Archives Advanced search Terminology

Search Results

Items (192) | Collections (9) | Corpus (0) | Fonds (0)

Filters

|               |            |             |
|---------------|------------|-------------|
| Item Status   | Unknown 9  | Published 1 |
| Player Status | Sound 9    |             |
| Access Right  | viewable 4 |             |

Other Filters

|                                     |                                                                                    |           |                                                                               |
|-------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------|-----------|-------------------------------------------------------------------------------|
| <input type="checkbox"/> select all | title                                                                              | Digitized | Depositor / contributor                                                       |
| <input type="checkbox"/>            | Collecte sur terrain des manifestations musicales   جمع ميداني للتظاهرات الموسيقية | 0         | Centre des Musiques Arabes et Méditerranéennes   تونسسية                      |
| <input type="checkbox"/>            | Fathia Khairi (1918-1986)   فتيحة خيري (1918-1986)                                 | 0         | Centre des Musiques Arabes et Méditerranéennes   تونسسية                      |
| <input type="checkbox"/>            | Festival International de Carthage : session 13   مهرجان قرطاج الدولي : الدورة 13  | 0         | Ministère de la Culture : Comité Culturel National   الوزارة : اللجنة الوطنية |
| <input type="checkbox"/>            | Festival International de Carthage : session 27   مهرجان قرطاج الدولي : الدورة 27  | 0         | Ministère de la Culture : Comité Culturel National   الوزارة : اللجنة الوطنية |
| <input type="checkbox"/>            | Mohamed El Jamoussi (1910-1982)   محمد الجموسي (1910-1982)                         | 0         | Centre des Musiques Arabes et Méditerranéennes   تونسسية                      |
| <input type="checkbox"/>            | Musique Occidentale   موسيقى غربية                                                 | 0         | Ministère de la Culture : Comité Culturel National   الوزارة : اللجنة الوطنية |
| <input type="checkbox"/>            | Sayed Darwich (1892-1923)   سيد درويش (1892-1923)                                  | 0         | Baidaphon   بيدايفون / Odeon   أوديون / Meckian records   ميكان               |
| <input type="checkbox"/>            | مهرجان قرطاج                                                                       | 0         |                                                                               |
| <input type="checkbox"/>            | Hbibba Msika (Habiba Msika) (1893-1930)   حبيبة مسيكة (1893-1930)                  | 0         |                                                                               |

غير أنّ ما يجلب الانتباه هو أنّ في حالتنا البحث بالكلمات المفاتيح التي ذكرناها لم نتحصّل على أرصدة غنائية من مسرحيات غنائية معيّنة، بل هي أغاني فردية قد تكون نادرة من حيث تاريخ تسجيلها وشركة الإنتاج التي سجّلتها ولكن لا علاقة لها بالمسرح الغنائي.

غير أنّ حوارا جمعنا بالدكتور محمد القريني (عن بعد) ذكر لنا فيه أنّ أرشيف التلفزة التونسية يحتوي على عدد من التساجيل الخاصة مثلا ببعض عروضه الفنية في مجال المسرح الغنائي في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين.



مؤتمر الموسيقى العربية الحادي والثلاثون من ٢٢-٢٦ أكتوبر ٢٠٢٢

"المسرح الغنائي علامة فارقة في مسيرة الموسيقى العربية"



ولا يخفى أنّ الأسماء التي اقترحها محرّك البحث في المواقع الرسمية التي اعتمدها هي من التي لمع صيتها في مجال التمثيل والغناء في المسرح معاً إذ أنّ حبيبة مسيكة وفتحية خيري ومحمد الجموسي من بين الشخصيات التي تحدّثت عنها مراجع المسرح كأبرز وجوه الغناء المرتبطة بمجال المسرح. غير أنّ وبعد جملة من القراءات والمطالعات لكتب المسرح وبعض المقالات القليلة حول المسرح الغنائي (ذكرنا آنفاً)، رأينا من الموضوعية أن نبث بكلمات مفاتيح أخرى (باللغة العربية واللغة الفرنسية) تهتمّ شخصيات فنية ارتبط جزء من مسيرتها الفنية بالمسرح والغناء، مثل "فضيلة ختمي" وعبد الرزاق كرباكة" و"محمد عبد العزيز العقربي". غير أن النتائج لم تف بالغرض ولم تتقدّم بنا إلى الامام نحو مزيد فهم طبيعة ممارسة المسرح الغنائي صلب المشهد الموسيقي التونسي العام في النصف الأول من القرن العشرين:

– رصيد الفنان محمد عبد العزيز العقربي في مركز الموسيقى العربية والمتوسطية

Collection : Muhammad 'Abd al-'Aziz al-'Agrbi | محمد عبد العزيز العقربي

14 items (View list)

|                   |                                                            |
|-------------------|------------------------------------------------------------|
| Title             | Muhammad 'Abd al-'Aziz al-'Agrbi   محمد عبد العزيز العقربي |
| Document status   | Unknown                                                    |
| Recording context | Production phonographique   إنتاج فونوغرافي                |
| Recording period  |                                                            |
| Access type       | metadata                                                   |
| Corpus            | تونس التونسية قبل 1934   Tunisie avant 1934                |

Geographic and cultural informations

Populations / social groups | Tunisiens

Legal notices

Archiving data

Technical data

Items

| Title                                               | Digitized | Recordist                           | Location | Year of recording | Code   | select all               |
|-----------------------------------------------------|-----------|-------------------------------------|----------|-------------------|--------|--------------------------|
| حفلة ليلة ثلاثاء محمد عبد العزيز العقربي            |           | محمد عبد العزيز العقربي             |          |                   | B-480  | <input type="checkbox"/> |
| شهرية مع محمد عبد العزيز العقربي                    |           |                                     |          |                   | B-589  | <input type="checkbox"/> |
| سلام صبا الإرفاق : محمد عبد العزيز العقربي          |           | Baidaphone   بيدايفون               |          |                   | D-0413 | <input type="checkbox"/> |
| الموتة النوري : محمد عبد العزيز العقربي             |           | [?]   ؟                             |          |                   | D-2633 | <input type="checkbox"/> |
| أشقرن ما يمشي لا يمشي : محمد عبد العزيز العقربي     |           | Rsayi-Um-Hanan   الرسايسي أم الحنان |          |                   | D-2634 | <input type="checkbox"/> |
| لم يكل لي : السيدة - يا أبل المني : محمد عبد العزيز |           | براقون                              |          |                   | D-2635 | <input type="checkbox"/> |
| فتي ما أشتاق : محمد عبد العزيز العقربي              |           | براقون                              |          |                   | D-2638 | <input type="checkbox"/> |
| هزيرة الدمي (السيدة) : محمد عبد العزيز العقربي      |           | براقون                              |          |                   | D-2639 | <input type="checkbox"/> |
| أول يدي ناول برباسي : محمد عبد العزيز العقربي       |           | Baidaphone   بيدايفون               |          |                   | D-5761 | <input type="checkbox"/> |
| دم يا زمان المني : محمد عبد العزيز العقربي          |           | Baidaphone   بيدايفون               |          |                   | D-5832 | <input type="checkbox"/> |
| تيلي من الهجران / كنت السمية                        |           | Baidaphone   بيدايفون               |          |                   | D-5872 | <input type="checkbox"/> |
| الهلال : محمد عبد العزيز العقربي                    |           | Baidaphone   بيدايفون               |          |                   | D-5886 | <input type="checkbox"/> |
| الهلال غراسي : محمد عبد العزيز العقربي              |           | Baidaphone   بيدايفون               |          |                   | D-6007 | <input type="checkbox"/> |
| ياي فوامك يميني : محمد عبد العزيز العقربي           |           | Baidaphone   بيدايفون               |          |                   | D-6220 | <input type="checkbox"/> |

Add to playlist

– نتائج البحث عن أرشيف مكتوب يخصه ضمن وثائق أرشيف البارون ديرلانجي

Aucun résultat.

Désolé, mais rien ne correspond à vos termes de recherche. Veuillez essayer de nouveau avec quelques mots-clés différents.

البحري RECHERCHER

MOTS CLEFS

1924 1929 1930 1931 1932 1933 1934 1948 1958 1962 1968 1969 1960 1963 1974 1975 1976 Antonin Laffargue Aziz Bacrouche Baron d'Erlanger Cartes postales

ÉLÉMENTS RÉCENTS

339-05 : Correspondance de « American Women's Club of Tunisia » 339-04 : Photo « Carte de vœux 339-03 : Lettre au Baron

MÉTA

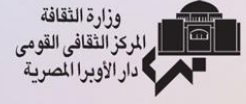
Connexion Flux RSS des articles RSS des commentaires Site de WordPress-FR

– رصيد الفنانة فضيلة ختمي (راجع الرابط الإلكتروني التالي):

[http://phonotheque.cmam.tn/archives/collections/Fadhila\\_Khetmi](http://phonotheque.cmam.tn/archives/collections/Fadhila_Khetmi)



## مؤتمر الموسيقى العربية الحادى والثلاثون من ٢٠٢٢-٢٦ أكتوبر ٢٠٢٢ "المسرح الغنائي علامة فارقة في مسيرة الموسيقى العربية"



| Items                    |           |                |                |                   |                |                                     |
|--------------------------|-----------|----------------|----------------|-------------------|----------------|-------------------------------------|
| Title                    | Digitized | Recordist      | Location       | Year of recording | Code           | <input type="checkbox"/> select all |
| فصل ربيع - عرس           | ✓         | Columbia       | Tunisie   تونس | 1928 - 1929       | D-0000-01      | <input type="checkbox"/>            |
| أنا عروءة لثورك          | ✓         | Columbia       | Tunisie   تونس | 1928 - 1929       | D-0000-02      | <input type="checkbox"/>            |
| يا شامي حتى ما بي        | ✓         | Columbia       | Tunisie   تونس |                   | D-0001         | <input type="checkbox"/>            |
| الربيع حبيب              | ✓         | Odion          | France   فرنسا |                   | D-0002         | <input type="checkbox"/>            |
| عذبة - عرس               | ✓         | Baidaphone     |                |                   | D-0004         | <input type="checkbox"/>            |
| يا شام حبيبك لعن (جوانج) | ✓         | Odion          | France   فرنسا |                   | D-0008         | <input type="checkbox"/>            |
| طرنسية مرزوقية           | ✓         | Pathé          | France   فرنسا |                   | D-0142_exp_1,3 | <input type="checkbox"/>            |
| فهر - عرس                | ✓         | Pathé          | France   فرنسا |                   | D-0143         | <input type="checkbox"/>            |
| ما لوكة تباري            | ✓         | Odion          | France   فرنسا |                   | D-0144_exp_1,5 | <input type="checkbox"/>            |
| حبيبك حبيبك              | ✓         | Pathé          | France   فرنسا | 1931              | D-0198         | <input type="checkbox"/>            |
| أنا بي على الحبيب        | ✓         | Columbia       | Tunisie   تونس |                   | D-0199         | <input type="checkbox"/>            |
| أنا زينة الحبيب          | ✓         | Pathé          | France   فرنسا | 1930              | D-0200         | <input type="checkbox"/>            |
| فهر - عرس / اهل على      | ✓         | Odion          | France   فرنسا |                   | D-0201         | <input type="checkbox"/>            |
| عذبة - عرس / الحبيب حبيب | ✓         | Baidaphone     |                |                   | D-054_exp_1,3  | <input type="checkbox"/>            |
| فهر - عرس / الحبيب حبيب  | ✓         | Royal-Um-Hasan | Tunisie   تونس |                   | D-1179         | <input type="checkbox"/>            |
| هو روك الحبيب            | ✓         | Columbia       | Tunisie   تونس |                   | D-1180         | <input type="checkbox"/>            |
| و يا شامي حبيب           | ✓         | Polyphone      | Tunisie   تونس |                   | D-2524         | <input type="checkbox"/>            |
| عذبة - عرس               | ✓         | Polyphone      | Tunisie   تونس | 1932              | D-2608         | <input type="checkbox"/>            |
| عذبة - عرس               | ✓         | Baidaphone     |                |                   | D-2609         | <input type="checkbox"/>            |
| أنا حبيب / عذبة          | ✓         | Baidaphone     |                |                   | D-2610         | <input type="checkbox"/>            |
| أنا حبيب / عذبة          | ✓         | Baidaphone     |                |                   | D-2611         | <input type="checkbox"/>            |
| عذبة - عرس / الحبيب حبيب | ✓         | Columbia       | Tunisie   تونس |                   | D-2612         | <input type="checkbox"/>            |
| يا فخر يا شامك يا شامك   | ✓         | Baidaphone     |                | 1933              | D-5685         | <input type="checkbox"/>            |
| أنا زينة الحبيب          | ✓         | Pathé          |                |                   | D-5708_exp_1,3 | <input type="checkbox"/>            |
| فهر - عرس                | ✓         | Odion          | France   فرنسا |                   | D-5716_exp_1,4 | <input type="checkbox"/>            |
| أنا زينة الحبيب          | ✓         | Pathé          |                |                   | D-5719         | <input type="checkbox"/>            |
| عذبة - عرس / الحبيب حبيب | ✓         | Pathé          |                |                   | D-5742         | <input type="checkbox"/>            |

### صفحة من وثائق أرفيف البارون تفيد عناوين بعض اسطوانات غنائية لفضيلة ختمي:

| Suite Melle Fadila Khetmi |                      | Suite Bechir Fahmi                           |                     |
|---------------------------|----------------------|----------------------------------------------|---------------------|
| تاج الالة فضيلة ختمي      |                      | تاج الاستاذ بشير فحامي                       |                     |
| 30721.4 Haniwi            | ٩٣٠٧٣ خاني يازمان    | 0077.4 Tati Boudi                            | ٩٣٥٧٧ طليح بدوي     |
| 30775.6 Di akhur          | ٩٣٠٧٥ دي آكر موشه    | 00823.3 Habbou                               | ٩٣٥٨٢ ميجول بالي    |
| 30777.8 Waria machi       | ٩٣٠٧٧ وانت ماتي      | 00843.9 Alghomra                             | ٩٣٥٨٤ اللهم صل وسلم |
| 30779.90 Bissati bakht    | ٩٣٠٧٩ باعة البيت     | <b>Melle Fadila Khetmi</b>                   |                     |
| 30801.2 Bishkawihi        | ٩٣٠٨١ بيتوحي         | الاستاذ فضيلة ختمي                           |                     |
| 30811.3 Taci Ismane       | ٩٣٠٨٣ تاج اسموا      | ثلاثه وثلثون اسطوانة جديده لم تظهر حتى اليوم |                     |
| 30801.9 Ya la Ahleln      | ٩٣٠٨٨ يا لاهلين      | قطر ٣٥ سانتيمتر                              |                     |
| 30811.4 Alai Bour         | ٩٣١٤٣ عل المرصرك     | 00803 Hania                                  | ٩٣٠٠٣ حلو الكمال    |
| 30811.6 Ya mabrah         | ٩٣١٤٥ يا مبراه       | 00804 Habbou                                 | ٩٣٠٠٤ حبيب بالي     |
| 30811.90 Assand           | ٩٣١٤٩ الساند         | 00807.8 Ya na chit                           | ٩٣٠٠٧ يا ناشيت      |
| 30811.2 Bina              | ٩٣١٥١ روض الحسن      | 00810.1 Mare                                 | ٩٣٠١٠ مرمه وفوت     |
| 30811.4 Bala Nizam        | ٩٣١٥٣ ستن وليم       | 00812.13 Yali na                             | ٩٣٠١٢ يالي انت      |
| 30822.3 Hoban             | ٩٣٢٢٢ حيك القوي      | 00816.17 Mademohette                         | ٩٣٠١٦ ياليموازيل    |
| 30826.7 Islamah           | ٩٣٢٢٦ كازمك بابا     | 00818.19 Habbou                              | ٩٣٠١٨ شفت حبيب      |
| 30827.9 Ala Zaskak        | ٩٣٢٢٨ عل ذوك         | 00822.3 Yali almba                           | ٩٣٠٢٢ يالي عنيها    |
| 30830.1 Takid             | ٩٣٢٣٠ تقليد للتيت    | 00821.5 Ya Habbou                            | ٩٣٠٢٤ يا لله زينة   |
| 30832.3 Makreb            | ٩٣٢٣٢ مكتوب من الكرم | 00826.9 Assand                               | ٩٣٠٢٨ عزتي حرام     |
| 30834.5 La Kabet          | ٩٣٢٣٤ لاكت لكر       | 00827.20 Dajou amar                          | ٩٣٠٢٩ شفتي القرم    |
| 30834.6 Anta ya Makba     | ٩٣٢٣٦ انت يلقوي      | 00831.2 Bina ya Hamam                        | ٩٣٠٣١ روح يا حمام   |
| 30834.8 Ya tair           | ٩٣٢٤٥ يا طير غن      | 00833.3 Ebn hand                             | ٩٣٠٣٣ ايتي بعبعا لك |

### ٢- تحولات المجتمع التونسي على مستوى الوعي الثقافي في القرن العشرين

قبل الحديث عن المسرح الغنائي في تونس وأبرز محطاته (إن وجدت) فإننا خيرنا التطرق إلى موضوع على غاية من الأهمية وهو التحولات الاجتماعية وتبعاتها الثقافية وتأثيرها على طبيعة ممارسة المسرح الغنائي بالبلاد التونسية. ورغم ما للموضوع من أبعاد انثروبولوجية وسوسيولوجية إلا أننا خيرنا الخوض فيه لأن له علاقة كبيرة بفرضية البحث أي أزمة الشكل الفني (المسرح الغنائي).

لا يخفى على القارئ أن المشهد الثقافي إلى فترة ما قبل تأسيس المعهد الرشدي ومن بعدها الإذاعة الوطنية كانت تسيطر عليه طبقة معينة من التونسيين اليهود، باعتبار أن التونسيين المسلمين كانوا تحت ضغط الرأي القائل بتحريم الموسيقى وكل أشكال التعبير المرتبطة بها وهو موقف تغلغل في فكر العامة نتيجة عدة عوامل منها وأبرزها تفشي الاوبئة بصفة متتالية في القرون ١٦ و ١٧ و ١٨ الأمر الذي جعل الناس تهرب إلى الزهد والعبادة تضرعا وطلبا للمغفرة، حتى صار المتعلمون للفقهاء من التونسيين لدى أئمة الأزهر في



مصر مثلاً لا يتوانون-عند عودتهم- عن كسر آلات الطرب والتشهير بها مثل أحمد المريغي أحد فقهاء مدينة سوسة في القرن ١٧. ويبدو أن هذا الموقف قد لازم التونسيين لفترة طويلة لعلها لم تتوقف إلا بالوعي التدريجي بخطورة الوضع الاستعماري (في أواخر القرن ١٩ وبدايات القرن العشرين والاختناق الاقتصادي سنة ١٩٢٩) الذي يجب الوقف في وجهه بكل الطرق والأساليب وليس بالخنوع والتسليم والتصوف.

الأمر الذي جعل مثلاً "حبيبة مسيكة" نجمة زمانها إلى حدود ظهور المطربة "فتحية خيرى" التي كانت منافسة لها من حيث استقطابها للجماهير بفضل احتكاكها مع جماعة تحت السور (وأبرزهم الهادي العبيدي وعبد الرزاق كركباكة وغيرهم كثيرون). نفس الشيء بالنسبة لفضيلة ختمي ومحمد عبد العزيز العقربي.

هذا العامل جعل مشاركة النخبة المثقفة (التي احتكت بنظيرتها المصرية والشامية في العقود الثلاثة) تتعثر في إرساء تجربتها الخاصة في المسرح الغنائي (اقتداء بسليمان قرداحي وسلامة حجازي وجورج أبيض وسيد شطا وسيد درويش وغيرهم). ففي الوقت الذي نضجت فيه تجربة المسرح الغنائي في مصر مثلاً، كان الموسيقيون التونسيون ونخب البلاد في حالة مخاض ثقافي وفكري لخوض التجربة التونسية بوعيها الخاص في كل مجال (الأدب، الصحافة، الغناء، التمثيل، الشعر..).

نتيجة لذلك نبغ الهادي العبيدي في النقد الصحافي وكتابة الأغاني وكذلك عبد الرزاق كركباكة في كتابة النصوص المسرحية والغنائية ومحمد المرزوقي في الشعر ومحمد الحبيب في التأريخ والنقد والبشير المتهني (في التمثيل والأدب) وأبو القاسم الشابي في الشعر الفصيح ومحمد عبد العزيز العقربي في الغناء وفتحية خيرى كذلك في العزف والغناء، وغيرهم كثيرون.

مما أبقى تجربة المسرح الغنائي في مرحلة انتقالية، فلا هي نضجت مبكراً فواكبت قمة الابداع الجاري في المشرق مع سيد درويش مثلاً، ولا تبقى لها الوقت لكي تستأنف نشاطها عبر الموسيقيين والملحنين والأدباء والشعراء، لأن فترة ما بعد ١٩٣٢ (أي تأسيس المعهد الرشيدى) خُصّصت وسط مناخ من الوعي السياسي لجمع التراث الغنائي التونسي المهدد بالنسيان (المالوف التونسي) وكتابته وتلحين أرصدة جديدة من الأغاني وإتاحة الفرصة لفنانين وفنانات جدد لكي يراكموا تجربتهم صلب المعهد الرشيدى وفرقة الرشيدية التي كانت متنفساً استثنائياً للابداع والانتاج. فكأننا بالمعهد الرشيدى قد ابتلع بسياسته (التي كانت تتبرر بوضع سياسي معين) عدة ممارسات موسيقية (ومنها المسرح الغنائي وعديد الممارسات الغنائية التي لا تنتمي للمجال الحضري).

وهو ما جعل التجربة التونسية في المسرح الغنائي تعيش أزمة شكل فني لم يتبلور بعد بهوية تونسية واضحة المعالم بل بقيت تسير على نهج التجارب المصرية الاولى في شكل مداخلات غنائية صلب المسرحيات. وهذا ما سنتوسع فيه أكثر في العنصر الموالي باعتماد راي الملحن التونسي حمادي بن عثمان.

لكن قبل المرور وجب التذكير أن التحولات الاجتماعية والديمقراطية التي حصلت بعد خروج عدة فئات اجتماعية من المستعمر الفرنسي وكذلك العائلات الاسبانية والإيطالية التي كانت سبباً لخروج أهل المدينة العتيقة من التونسيين نحو الأحياء "الراقية" التي كانت تسكنها العائلات الأوروبية خارج أسوار المدينة العتيقة مما ساهم في ازدياد نزوح أهل الريف إلى المدينة العتيقة ليأخذوا مكانهم فيها عوضاً عن العائلات التونسية التي ظلت لسنين طويلة فيها. فأتوا بفنونهم الغنائية وأشعارهم وتقاليدهم مأكلاً وملبساً ومشرباً وأخلاقاً. وربما يفسر هذا التحول الديمغرافي تلك النسب المئوية التي عرضناها في البداية عندما تحدثنا عن نسبة الممارسات الموسيقية داخل الحواضر وخارجها بالبلاد التونسية.



### ٣- المسرح الغنائي في تونس في النصف الأول من القرن العشرين: نقد التجربة من منظور الملحن حمادي بن عثمان (محمد عبد العزيز بن عثمان)

ينتقد الملحن حمادي بن عثمان رحمه الله التجربة التونسية في المسرح الغنائي في عدة مواضع من مقالين صدرتا له في نفس العدد من مجلة الحياة الثقافية التونسية (العدد ١٩٧٨ أوت)، وسنقف في حدود النصف الأول من القرن العشرين لأن النصف الثاني غلبت عليه :

- من جهة: الأغنية الفكاهية (التي يمكن اعتبارها شكلا من أشكال الأغنية المسرحية) التي سرعان ما أفلت وفقدت لمعانها، واعتبرها الباحث علي اللواتي كذلك شكلا فنيا يعيش أزمة في زمن التحولات الاجتماعية الحديثة.

- من جهة أخرى: انتاج الأغنية الإذاعية بأنواعها (العاطفية والوطنية والاجتماعية والتي تعني بالطبيعة وخيرات البلاد) خاصة في العهد الذي كان فيه المؤرخ عثمان الكعاك مسؤولا عن الإذاعة الوطنية).

- ظهور الانتاج التلفزيوني والسينمائي في العالم العربي.

ينطلق حمادي بن عثمان في التأريخ للتجربة التونسية في المسرح الغنائي انطلاقا من سنة ١٩٠٨ تاريخ قدوم جوق سليمان قرداحي إلى تونس ثم جوق الشيخ سلامة حجازي الذين كانوا يقدمون فصولا غنائية صلب المسرحيات والتي لم تكن لها "أية صلة بموضوع المسرحية ولا بتركيبها الدرامي أو مغزاها".<sup>٧</sup>

ولقد سارت على هذا المنوال كل من "جمعية الآداب" و"جمعية الشهامة" التونسيين اللتين تأسستا تباعا سنة ١٩١١ و١٩١٤ فكانت المداخلات الغنائية بدون فرقة موسيقية، ولكن بمرور الوقت يذكر "بن عثمان" أنهما قدمتا مسرحيات "فيها شيء من النغم وشبيهة بالأوبريت"<sup>٨</sup>

كما يذكر الباحث محطة سنة ١٩٢٦ أي تأسيس جمعية "المستقبل التمثيلي" من طرف كل من "محمد الحبيب" و"البشير المتهني" التي كانت فرصة لبعض الملحنين التونسيين أن يقدموا من خلالها عدة ألحان مسرحية مثل محمد التريكي وقدور الصراري والهادي الجويني وأحمد بلحسين.

يمرّ بعد ذلك المرحوم حمادي بن عثمان إلى محطة سنة ١٩٥٠ على اعتبارها تاريخ تخلي محمد الحبيب عن النشاط المسرحي وظهور جيل آخر من الملحنين والفنانين مثل محمد عبد العزيز العقربي وأحمد بلحسين وصالح المهدي . غير أن بن عثمان يؤكد أن التلاحين كانت تسير على منهج القدامى من المشاركة أي اعتماد الموشحات والغناء المرتجل لتأثير المسرحيات.

من جهة أخرى نعتبر أن المسرح الغنائي في تونس كان النواة الأولى لظهور الأغنية الفكاهية التي يمكن اعتبارها شكلا من أشكال الغناء المسرحي لاعتبارين:

- وجود فرقة موسيقية ومؤدي

- الاداء في هذا اللون الغنائي لا يكون بالضرورة من طرف مطرب بل من طرف شخص له موهبة في التمثيل وتمثل طبقات مختلفة من أفراد المجتمع وطبائعهم وسلوكياتهم (مثل صالح الخميسي والهادي السملالي وحمد الجراري ومحمد المورالي ورضا الحجام وعبد اللطيف الغربي) يركز على الاتيان ببعض

٧ محمد عبد العزيز بن عثمان (١٩٧٨)، المسرح الغنائي في تونس، مجلة الحياة الثقافية، ص. ٦٤  
٨ المرجع السابق



الحركات التي تتلاءم مع النصّ الساخر، وعادة يكون اللحن قد تم الاشتغال عليه من طرف بعض الملحنين المعروفين (صالح المهدي مثلا خاض هذه التجربة).

غير أنّ تجربة الأغنية الفكاهية (أو الساخرة) لم تعمّر طويلا وتراجعت تدريجياً بنفس الطريقة التي جعلت نور المسرح الغنائي ينطفئ في مهده، إذ عرفت بدورها أزمة في شكلها الفني صلب التحوّلات الاجتماعية والاعلامية والسياسة الثقافية واندثرت نهائيا في ثمانينيات القرن العشرين.

وتراجع الأغنية الفكاهية والمسرح الغنائي أو اعتبارهما شكلان فنيان عاشا أزمة تأقلم وتفاعل مع التحوّلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية له مبرراته، إذ أنّ كلاهما كان قالبا يهرب إليه المبدع من أجل التعبير عن رأيه والسخرية والنقد بشكل مبطن شأنهما شأن التعبير المجازي في الأدب والشعر. لذلك عندما انتهت الأسباب التي من أجلها يولد الابداع النقدي الساخر (السخرية من الاستعمار وجنوده وداعميه من ابناء الوطن). إذ لا يخفى أن مرحلة ما بعد الاستقلال كانت تحتاج إلى رص الصفوف والتعاون من أجل بناء الدولة، فلم يعد للضنون نفس دور المقاومة أو النقد السابق.

غير أنّ التخلّي عن ذلك الحق الابداعي خلق حلقة مفرغة مألها الخنوع والرضا شيئا فشيئا إلى أصبحت السخرية والنقد للعمل السياسي شيئا ممنوعا ويشكل خطرا على المبدع، وبقي الأمر كذلك وتعزّز إلى غاية سنة ٢٠١١ التي انفلت إثرها الانتاج الثقافي ولم يصبح للدولة القدرة على ترويض العقول لأنّها كانت تنوق إلى الحرية في كل شيء. تحوّلت المسرح الغنائي والأغنية الفكاهية إلى أرصدة موسيقية ومسرحية أخرى لا تستمد إبداعها -إن صحّ التعبير- من الأشكال القديمة بل من ظروف نفسية وتربوية وثقافية جديدة لم يكن السياسي والنخبة تعمل لها أي اعتبار.

## خاتمة

خير ما نختم به هذه المداخلة هو سؤال جوهري لا يهمّ تونس فقط بل العالم العربي ككل، هل نحتاج إلى المسرح الغنائي في السياق الثقافي الحالي بما فيه من تعقيدات على مستوى الذكاء اللاصطناعي والاعلام وآليات الترويج الفني وغيرها من العوامل التي لها تأثير كبير على تشكيل مشهد موسيقي ومسرحي قد لا يتماشى وطبيعة المسرح الغنائي في شكله التقليدي الذي عُرِف به في السابق؟

لعلّ الأمر لا يقتصر على العالم العربي فقط، إذ أنّ المسرح الغنائي والابورا والابوريت كل أشكال المسرح المغنى أصبحت نخبوية لدرجة كبيرة لدرجة أنّ شباب اليوم قد تغيب عنه فكرة ان يكون في المسرح غناء بنفس اهمية التمثيل.

إنّ التحوّلات الثقافية المتسارعة وتحولنا للعالم الرقمي فرض على الأجيال الجديدة إيجاد وسائل جديدة للتعبير الموسيقي والمسرحي تتماشى مع طبيعة رؤيتهم للحياة وسط مشاريع تربوية جديدة (قد يختلف في تقييم غاياتها)، ووسط صراعات حضارية وهوياتية بصدد تشكيل عقليات جديدة متجهة أكثر نحو الفردانية وإبراز الذات.

فأصبحنا نلاحظ وجود المسرحيات ذات الشخص المنفرد (One man show) وأفل نجم المسرح الجماعي الكبير الذي بقي منسباتيا في المهرجانات المخصصة له، كما أصبحنا نرى عروضاً موسيقية بشخص أو شخصين أو ثلاثة أشخاص، وهي كلها رؤى بصدد الانتشار ومختلفة عما تعودت مسامعنا وانظارنا عليه في السياق السياسي للنصف الاول من القرن العشرين (سياق عزز مفهوم القومية والوطنية أثر على الرؤى الفنية بشكل عام).



مؤتمر الموسيقى العربية الحادى والثلاثون من ٢٢-٢٦ أكتوبر ٢٠٢٢

"المسرح الغنائي علامة فارقة في مسيرة الموسيقى العربية"



## المراجع المعتمدة

- \* علي اللواتي (٢٠١٨)، مجلة "ليدرز" العربية التونسية، "في تراجع الأغنية الفكاهية في تونس: أزمة شكل فني في سياق مجتمع متحوّل".
- \* محمد القرية (٢٠١٥)، نظرات في الموسيقى والغناء والفرجة، تونس.
- \* فتحي زغندة (٢٠١٤)، نقاط توقف: دراسات ومقاربات في فنّ الموسيقى في تونس، الدار العربية للكتاب.
- \* محمد القرية (٢٠٠٦)، الموسيقى العربية آلتها وأغانيها.
- \* الصادق الرزقي (١٩٦٥)، الأغاني التونسية، تونس، دار سحر للنشر.
- \* محمد قوجة (٢٠١٤)، "الخطاب الموسيقي في تونس، إشكالية تحديد المفاهيم والمناهج"، تصدير كتاب ملتقى الموسيقى والفنون التونسية في مجالها العربي الإسلامي والإفريقي والمتوسطي: البصمة المغاربية، منشورات المعهد العالي للفنون والحرف بقابس.
- \* محمد عبد العزيز بن عثمان (١٩٧٨)، المسرح الغنائي في تونس، مجلة الحياة الثقافية.
- \* عز الدين المدني ومحمد السقانجي (١٩٨٦)، رواد التأليف المسرحي في تونس ١٩٥٠-١٩٥٠.
- \* المنصف شرف الدين (١٩٩٧)، تونس، من رواد المسرح التونسي وأعلامه، المكتبة العتيقة.
- \* محمد انور بوسنينة (١٩٩٩)، تونس، عبد الرزاق كركباكة حياته-تراثه، المركز الوطني للاتصال الثقافى.
- \* الهادي العبيدي (٢٠٠٢)، تونس، من أعلام الثقافة والسياسة، تحقيق وتجميع البشير الشريف.
- \* علي اللواتي (٢٠٢١)، تونس، خطوط على جدار الذاكرة، contraste éditions.